

الفصل الأول

التربية المقارنة

التربية المقارنة

١ - مفهوم التربية المقارنة :

تعد التربية المقارنة مادة حديثة من المواد التربوية وأن كان الاهتمام بالدراسات قد سائر التطور التاريخي للحضارة البشرية . ورغم أن البحث التربوي قد كشف أن أصول التربية المقارنة تعود إلى القصص والأساطير التي كتبها الرحالة ، وتقارير المهشرين والديبلوماسيين والتربويين التي حوت الكثير من الانطباعات والأفكار والمعلومات عن ثقافة مختلف الشعوب ، إلا أن أول دراسة منظمة في التربية للمقارنة قد بدأت في أوائل القرن التاسع عشر بظهور كتاب : عارك انطوان جوليان ، Marc Antoine Jullien المسمى : خطة وروية أولية عن عمل في التربية المقارنة .

ومنذ ذلك الحين أقبل التربويون والاداريون على دراسة التربية المقارنة وكثرت كتاباتها وتطورت مناهج بحثها حتى أصبحت في قرنا الحالى مادة من المواد الأكاديمية ذات القيمة الكبرى للعاملين في التربية والادارة والعلاقات الخارجية .

ومع ذلك فليس ثمة اتفاق عام بين المشتغلين بالتربية المقارنة على تعريفها تعريفا شاملا . فقد اختلفت تعريفاتهم في مختلف مفاهيمهم واختلاف الروايات التي تناولوا منها دراساتهم . كما أكد بعض أساتذة التربية المقارنة في مؤتمرات عقد بها ميونخ عام ١٩٥٥ - صعوبة تعريف مادتهم ، ودعوا إلى الاهتمام بالاعتراف على أهداف التربية المقارنة ومجالاتها .

ورغم هذه الصعوبة فإننا نحاول فيما يلي تقديم تعريفا للتربية المقارنة باستعراض مختلف التعريفات التي جاءت في كتابات خبراء التربية المقارنة الأوائل والمعاصرين .

فشل جوليان Jullien يعرف التربية المقارنة بأنها تلك الدراسة التحليلية للنظم التعليمية التي تهدف إلى تطوير النظم القومية وتهيئتها بما يتماشى مع الظروف المحلية .
يقول مارك انطوان جوليان أن التربية المقارنة :

« تقوم على أساس الوقائع والمشاهدات التي يفترض أن ترتب في جداول تحليلية
يسهل مقارنتها ، حتى يتسنى استخلاص مبادئه وقواعد عامة مضبوطة منها » .

أما كاندل Kandel فيرى أن التربية المقارنة هي الفترة الراهنة من تاريخ التربية
وهي تدرس النظريات التربوية وتطبيقاتها ومدى تأثيرها بالبيئات المختلفة ،
بهدف الكشف عن القوى والعوامل التي تعرب عليها اختلاف النظم التعليمية
ويقول كاندل :

« أن دراسة النظم التعليمية الأجنبية تعنى دراسة نقدية واختبارا للفلسفة
القومية يقصد تحليل واضح للأسس والخلفيات التي يقوم عليها النظام التعليمي
المحلي ، » .

ويعرف مالنيسون V. Mallinson التربية المقارنة بأنها الدراسة المنظمة
القاحصة للثقافات المختلفة والنظم التعليمية التي المبني عنها للتعرف على أوجه التشابه
والاختلاف والعوامل التي أدت إلى تبنى حلولاً مختلفة لمشكلات تربوية عامة .

أما لوراي J. A. Lauwerys فيعرف التربية المقارنة بأنها دراسة الحقائق
التعليمية بقصد فهم أسباب وجود النظم التعليمية في دولة ما بالوضع الذي هو
عليه في وقت معين .

أما بريداي Bereday فيعرف التربية المقارنة بأنها المادة التي تنظر إلى النظم
السياسية والاجتماعية من منظور عالمي . أو بعبارة مختصرة هي الجغرافيا السياسية
للمدارس .

وأخيراً يعرف كارتز جود Charter. v. Good التربية المقارنة في المعجم التربوي بأنها مجال من مجالات الدراسة يختص :

و بمقارنة النظريات التربوية وتطبيقاتها في البلاد المختلفة بهدف توسيع وعميق فهم المشكلات التربوية ليس في البلد الذي يفتنى إليه الدارس فحسب ، بل في البلاد الأخرى أيضاً .

وفي ضوء ما سبق يمكن أن تعرف التربية المقارنة بأنها الدراسة المنظمة التحليلية لمختلف الأنظمة التربوية في إطارها الاجتماعي وما يتصل بها من فلسفات ونظريات تربوية وما تتضمنه من أهداف قومية لتحديد المشكلات التربوية والوقوف على السياسات التعليمية التي تروم لإطار الحلول والحلول البديلة .

٢ - أهداف التربية المقارنة :

تجسدت القيمة الوظيفية للتربية المقارنة منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر على يد ماثيو أرنولد Arnold ومايكل سادلر Michael Sadler فقد كان الدافع المسيطر على دراساتهم المقارنة لتنظيم التربية الأجنبية هو إصلاح نظامهم القومي وأعطيت دراساتهم السلطة السياسية لتحقيق النتائج النفعية . ولم يمنع من ذلك الاتجاه التقليدي للجامعات المهتم في ذلك الوقت بالعلم من أجل العلم .

هذا وأن كان أرنولد يعبر صراحة عن حتمية الوظيفة النفعية للتربية المقارنة في خطته لإعادة تنظيم التعليم الإنجليزي بعد دراسته لنظم التعليم العام في بلاد أوروبا إلا أن سادلر قد أكد في مقالة بعنوان " إلى أي مدى يمكننا أن نعلم شيئاً ذا قيمة عملية من دراسة النظم التعليمية " الذي نشر عام ١٩٠٠ أن القيمة العملية التي نحصل عليها من دراسة النظم التعليمية الأجنبية هي تأهليتنا لأن نكون أكثر صلاحية لدراسة وفهم نظامنا التعليمي .

وفي دراستنا للنظم التعليمية بوجه سادس انظارنا الى وجود اشياء خارج المدرسة
فله تكون اكثر أهمية من التي بداخلها ، بل أنها تتحكم في الأخيرة وتفسرها . ويتفق
كاندل مع سادس في أهمية هذه العوامل الخارجية وفي أهمية الهدف النفعي للتربية
المقارنة إذ يرى :

« أن القيمة الرئيسية للدراسة المقارنة للمشكلات التربوية تتمثل في تحليل
الأسباب التي أوجدتها . كما تظهر في مقارنة أوجه الاختلاف القائمة بين النظم
التعليمية المتعددة والعوامل التي تخلف وراءها . وأخيرا في دراسة الحلول التي
حاولتها الدول المختلفة . . . أن الدراسة المقارنة تطلب أولا تقديرنا للقوى الخفية
الروحية والثقافية التي تقف خلف النظم التعليمية مع ملاحظة أن العوامل والقوى
خارج المدرسة أهم بكثير مما يدور في داخلها .

وأوضح كاندل رأيه مرة أخرى في أهداف التربية المقارنة بقوله:
« ان غرض التربية المقارنة مثل غرض القانون المقارن والادب المقارن
والتشريع المقارن » هو الكشف عن الاختلافات في القوى والأسباب التي تفتح
اختلافات في النظم التربوية ، وذلك لاكتشاف المبادئ الكامنة التي تحكم تطور
جميع النظم التربوية القومية . .

ويؤكد بريداى أن مهمة التربية المقارنة هي التوصل إلى الدروس التي يمكن
استخلاصها من المقارنات أو التباين في التطبيقات التربوية في الدول المختلفة كوسيلة
لتقويم النظم التعليمية المحلية ويرى أن التربية المقارنة تحقق ثلاثة أهداف هي :

- أ - الاستفادة من إيجابيات وسلبات النظم التعليمية الأخرى .
- ب - تقويم القضايا التربوية المحلية بمنظور دولي يأخذ في الاعتبار وجهات
الدول الأخرى .

جـ - تخفيف حدة الكبرياء القومى بالسماح بالنقد الخارجى المستمر للنظام التعليمى المحلى .

ويرى بركمان W. W. Brickman أن التربية المقارنة تمدنا بالمعلومات الدقيقة التى الاعتماد عليها فى فهم النظم التعليمية الأجنبية والمحلية وبالتفسيحات اللازمة للوقوف على المشكلات التربوية المتصلة بها .

أما هانز N. ans فيوضح الهدف من دراسة التربية المقارنة بقوله :

و أن غرض التربية المقارنة ليس فقط مقارنة النظم التعليمية الحالية بل يتعدى ذلك إلى تصور الإصلاح الأكثر تناسبا مع الظروف الاقتصادية والاجتماعية المتغيرة . ان التربية تتطلع إلى المستقبل بإرادة حازمة للإصلاح . وهكذا فإن هدفنا له خاصية ديناميكية ووظيفة نفعية .

ويؤمن كنج King بأهمية التربية المقارنة فى إصلاح النظم التعليمية إذ يعتقد أن الهدف الواضح للتربية المقارنة فى السنين من هذا القرن هو تطوير النظم التعليمية ، وأن ذلك يؤدى إلى تقدم المجتمع البشرى .

أما لورايز فيرى أن دراسة التربية المقارنة تهدف إلى فهم أسباب وجود النظم والسياسات التعليمية بشكلها الراهن ، وهى ذات غرض نظرى وعلى إذ أنها :

و تهدف إلى إعطاء الدارس تلك المتعة العقلية التى تنبعث من التأمل ، كما أنها بالإضافة إلى ذلك - تؤدى إلى فهم الدارس للعوامل التى تؤثر فى النظام التعليمى .

ويؤكد هولمز B: Holmes هذين الغرضين للتربية المقارنة بقوله :

و أحد أهداف التربية المقارنة نظرسى لتحسين فهمنا للتربية بصفة عامة ، ولمشكلاتنا التربوية القومية بصفة خاصة . وللتربية المقارنة هدف عملى أيضا ،

فهي تساعد التربويين على اصلاح نظامهم التعليمى بكفاءة وفاعلية . وأحيانا يعتقد البعض أن هذين الهدفين متعارضان وفي رأى أنهما ليسا متبعضين . . فالمهندس يحتاج إلى قاعدة نظرية يبنى عليها اصلاحه . .

ونكتفى بهذا القدر من آراء أساتذة التربية المقارنة في تحديد أهدافها ، ويمكننا أن نستخلص منها أن وظيفة التربية بالمقارنة ذات شقين الأول منها يتيح للدارس تلك المتعة العقلية نتيجة لما يقوم به من التأمل والبحث والتفكير أثناء بناء الاطار النظرى والفروض والانماط والقوانين التى تسهل فهم وتحليل جوانب العملية التربوية والشق الثانى يتيح الفرصة للمربين والاداريين لإبتخاذ القرارات ووضع السياسات التعليمية التى تريد من فاعلية أساليب تطوير النظام التعليمى .

٣ - تطوّر التربية المقارنة :

شهد القرن العشرون نشاطا واهتماما كبيرا بالدراسات المقارنة فى شتى المجالات التى تتعلق بالشئون الإنسانية ومنها القانون ، والحكومة ، والدين والاخلاق ، والتربية وفى هذا القرن تخطت التربية محنة تخلفها وأصبحت مادة علمية كرد فعل للتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية . وفيه أيضا خطت التربية المقارنة خطوات عملاقة على طريق التقدم ، وأصبح لها مكانة مرموقة بين المواد الإنسانية .

ويبدو أن التربية قد سارت فى نفس الطريق الذى سارت فيه الفروع القديمة من الدراسات المقارنة . فقد بدأت جميعا بمقارنة المؤسسات القائمة أو اللغات الحية للبحث عن الأصول المشتركة والاختلافات القائمة خلال التطور التاريخى والوقوف على بعض المبادئ العامة التى تركز عليها جميع الفروع المتباينة . ولعل مهمتى فى الكتابة عن تطوّر التربية المقارنة ليست بالأمر اليسير فقد

سبقى كثيرون في هذا المضمار ومع ذلك فسنحاول أسلوبا مختلفا في تتبع هذا التطور يركز على فهم درافع دراسة التربية المقارنة في كل مرحلة من مراحل تطورها ويبرز الطريقة العلمية التي أتبعنا في وصف وتحليل وتفسير المعلومات التي جمعها رواد التربية المقارنة .

ونرى أن تطور التربية المقارنة تدمر في خمس مراحل لسكل منها خصائصها المميزة ودوافعها المختلفة وكتاباتها الفريدة . وينبغي أن نلاحظ أن هذه المراحل ليست مستقلة أو منفصلة .

ولنأخذ جميع أطوار التربية المقارنة قد اتصل حق وقتنا الحاضر ويمكن تتبعه في الإكتابات المقارنة الحديثة . وفيما يلي نناقش هذه المراحل .

٣ - ١ مرحلة الوصف :

لعل أول ما كتب في التربية المقارنة كان على يد الرحالة الذين ضمنوا أساطيرهم وقصصهم وتقاريرهم وصفاً وعلماً لمختلف المؤسسات الاجتماعية وأحيانا لاساليب تربية الأطفال في البلاد الأجنبية التي زاروها . ولذلك يميل البعض إلى تسمية هذه المرحلة بقصص الرحالة Travel's Tales ومن البداية كان الدافع وراء زيارة الإفاطار الأجنبية إما لإشباع رغبة حب الاستطلاع والترفية أو التجوال والاكتشاف وأما التجارة أو الدراسة أو العمل الدبلوماسي . ورغم نشر الكثير من الفترات والارشادات التي توضح للزائر كيفية تنظيم تدوين ملاحظاته ، إلا أن معظم تقارير الرحالة عن النظم التعليمية الأجنبية جاءت ذاتية وغير منظمة ، وأن كان وصفها النابض بالحياة قد عوض فقدانها الموضوعية .

وتتعد هذه المرحلة من العصور القديمة حتى نهاية القرن الثامن عشر إذ تعود أصول الملاحظات المقارنة عن التعليم إلى كتابات اليونانيين والرومان . فنجد أن

زينفون xenophon قد وصف تدريب الشباب الفارسي للوامة والقيادة . وقارن بين أهداف وتنظيم التعليم وعلاقته بالتركيب الاجتماعي والوظيفي في كل من المجتمعين الفارسي واليوناني . وهناك شواهد على أن سييسو Cicero وتاسيتس Tacitus وبوليوس قيصر Julius Caesar قد اهتموا بأساليب تربية الطفل في الخارج . فقد درس الأول أساليب التربية لدى اليونان ، واهتم الثاني بالممارسات التربوية لليهود وعادات الانجليز القدماء . وخصائص الألمان أما بوليوس قيصر فقد ذكر في كتابه De Bello Gallico الأهداف والممارسات التربوية لدى قدماء كمة الانجليز .

ولم تكن الملاحظات المقارنة الأولى قاصرة على الغرب ، فقد كتب سليمان الناجر في عام ٨٥١ عن رحلاته إلى الصين وأوضح أن جميع الصينيين يتعلمون القراءة والكتابة والاخلاق ، وأن بكل مدينة لتعليم الفقراء بمنقات من الدولة . أما المفكر العربي ابن خلدون فقد وجه اهتمامه إلى البلدان الاسلامية حيث قارن بين أساليب تعليم القرآن الكريم ، وخصص لذلك فصلا في مقدمته المعروفة باسمه . وبحنوان « تعليم الولدان واختلاف مذاهب الانصار الاسلامية في طرقه » . وقد ربط ابن خلدون في كتاباته بين التعليم والنواحي الاجتماعية أثناء حديثه عن اختلاف مناهج التعليم وطرقه بين الغرب والاندلس وأفريقية والمشرق العربي . يقول ابن خلدون : « فأما أهل الغرب فذهبهم في تعليم الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط فهم لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لاعتناء حديث ولا من فقه ولا من شعر . . . أما أهل الاندلس فذهبهم يختلف في تعليم القرآن . فلا يتعصرون لذلك عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر وأحذم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتابة . . أما أهل أفريقيا فيخلطون في تعليمهم الولدان للقرآن بالحديث في الغالب ومدارسه قوانين العلوم ولغتين بعض مسائلها إلا أن

عنايتهم بالقرآن واستظهار الودان اياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر مما سواه وعنايتهم بالخط تلى ذلك . وبالجمله فطريقتهم في تعليم القرآن أقرب إلى طريقة أهل الاندلس . أما أهل المشرق ... فعنايتهم بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانينه في زمن الشيعة ولا يخلطونه بتعليم الخط بل لتعليم الخط عندهم . . . معلمون (مختصون) كما نتعلم سائر الصنائع ، ولا يتداولون قوالين الخط في مكاتب الصبيان وإذا كتبوا لهم الألواح فيخط قاصر على الاجادة

أما ابن بطوطة فقد أهتم أثناء رحلاته التي استغرقت أربعين عاما من عمره بمتابعة المدارس ونظم التعليم ، وسجل انطباعاته في كتابه وتمعنه النظر في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار ، وفيه وصف ابن بطوطة المدرسة المستنصرية في بغداد التي كان يدرس بها مذاهب الفقه الأربعة . كما وصف جامع بن أمية وأشهر مدرسه وطرق تدريسهم وأشار إلى مدارس الشافعية بدمشق كالمادلية والظاهرية إشارة خالصة دون تفصيل كما ذكر بعض علماء مصر والاسكندرية .

وقد استحوذت الصين على اهتمام الغرب منذ رحلة ماوكوبولو الذي أسند تقدم أهل الصين طبيعتهم المسالمة ومعاملاتهم التجارية الشريفة وأخلاقهم الحميدة إلى نظامهم التعليمي . وفي عام ١٦١٠ امتدح ماثيو ريكسي Matteo Ricci أهل الصين . وأعجب بكتب الحكمة لفلاسفتهم وبوسائل تربية الشباب ليكونوا رجلا فضلاء ومع ذلك فإن ويليامز Williams لم ينهر بمجتمع الفضيلة الصيني . إذ كتب بعد زيارته للصين في منتصف القرن التاسع عشر أن الصينيين فسدوا مدسسون إلى درجة مشهورة ، عاداتهم مليئة بالتعبيرات البذيئة ، وتغاضهم عن الحقيقة واستمرائهم للكذب أدى إلى انحطاط مستوى أخلاقهم وخيائهم في المعاملات ودعارة الكبار والصغار والقسوة تجاه المسجونين . .

ولم تكن الصين وحدها عظم أنظار الغرب ، ففي خلال الفترة التي فتحت اليابان أبوابها للتجارة مع الغرب اندفع إليها التجار البرتغاليون والمبشرون الذين كتبوا الكثير من التقارير عن هذه الجزر النائية وفي عام ١٥٤٤ كتب اسكلاتي عن اليابان قائلا : أنهم يقرأون بنفس طريقة الصفيين ، ولغتهم شبيهة بلغة الألمان ، تعلم الصغار والشباب من النبلاء موكول إلى مدرسين خصوصيين بينما عامة الشعب يرسلون انهاءهم إلى المعابد البوذية .

كما نالت البلاد العربية التي كانت جزءا من الامبراطورية العثمانية نصيبا كبيرا من زيارات الغرب ولشعر عنها الكثير من الكتب . فثلاثا زار فولاني Volney مصر وسوريا لمدة ثلاثة أعوام من ١٧٨٣ إلى ١٧٨٥ ، كما كتب أوليفر Olivier عن سفره إلى الامبراطورية العثمانية ومصر وبلاد فارس عام ١٨٠٧ . وفي ١٨٢٤ زار مادن Madden تركيا ومصر والنوبة وفلسطين كما ألف أولن Olin كتابا من جزأين عن زيارته لمصر والجزيرة العربية والأراضي المقدسة عام ١٨٤٣ .

ولم يكن الأوروبيون وحدهم الذين اهتموا بالتعليم في المشرق . بل أن الأسويين أيضا قد كتبوا عن التعليم في آسيا . فقد وصف تسينج Tsing الذي درس في الهند في منتصف القرن السابع الميلادي جامعة نالاندا بقوله : أنها أعظم مركز للتعليم يضم عشرة آلاف باحث تحت إشراف ألف وخمسة مائة مدرس في ست كليات ذات مباني فاخرة بها أكثر من ثلثائة شقة ومكتبة كبيرة تضم مجموعة عظيمة من الكتب ولا يدرس الطلاب فقط الكتاب المقدس وحياة بوذا والفلسفة الهندوسية واهة الأسفار البوذية المقدسة وإنما يدرس الكثيرون أيضا القانون والطب والفلك والمنطق والرياضيات .

ولعله يتضح من جميع الأمثلة السابقة للكتابات الأولى في التربية المقارنة أنها كانت متخمة بالانحياز الثقافي والابدولوجي ، ومثأره تماما بالانطباع الذاتي ولذلك كانت أحكامها غير موضوعية ، وجاء الكثير مما كتب عن النظم التعليمية عرضا ، خاليا من الملاحظات الدقيقة الجوهرية والتفسيرات المعقدة .

٣ - ٢ . مرحلة الاستعارة التعليمية : Educational Borrowing

تعتبر هذه المرحلة بداية التاريخ العلمى للتربية المقارنة . وتمتد منذ بداية القرن التاسع عشر حتى نهايته ، حيث بدأت الكتابات عن نظم التعليم في البلاد الأجنبية تستقل عن غيرها من الكتابات الشاملة لمعالم الحياة وجوانبها المختلفة في تلك البلاد وقد بلغت الكتابات التربوية سرية مقتضية في صورة مقالات نشرت في «جلات أدبية وتربوية مثل التي كتبها فريدك هشت F. Hecht سنة ١٧٩٥ في بعنوان « مقارنة بين النظم التعليمية الانجليزية والنظم التعليمية الألمانية » .

كان الهدف من دراسة التربية المقارنة في هذه المرحلة هو رغبة المثمنين بالتربية في التعرف على نظم التعليم الأجنبية لاعلاح النظم التعليمية القومية . وقد كان نقل النظام التعليمى من دولة متقدمة لاخرى اعتقادا سائد طيلة القرن التاسع عشر ولذلك سميت هذه الفترة مرحلة النقل والاستعارة . وتركز اهتمام العلماء على جمع المعلومات عن النظم التعليمية ومكائنها حتى يمكن الاستفادة من أحسن النظم . ومن هنا كان منهجها بصفة عامة هو المنهج الوصفى دون التعمق في تحليل أصول وجذور النظام التعليمى ودون نقد هذا النظام أو التعرف على مشاكه . وكان معظم ما كتب في هذه المرحلة على شكل تقارير وصفية بناء على زيادات رجال التربية . وقد كان جون جريسكوم J. Griseom أول أمريكي قام بمثل هذه الزيارة إلى أوروبا لمدة عام زار فيها معاهد التعليم في إنجلترا وفرنسا وسويسرا

وايطاليا وهولندا واشتر ملاحظاته في مجلدين عام ١٨١٨ و ١٨١٩ .

وأمر رواد هذه المرحلة مارك انطوان جوليان الذى بدأ الدراسة العلمية المنظمة للتربية المقارنة واستخدم فى ذلك منهجه التحليلى المربى ، وبني خطته لاصلاح التعليم الفرنسى على أساس الدارسة المنظمة للواقع التعليمى كما هو على الطبيعة وصمم لذلك استفتاء المشهور كوسيلة لجمع المعلومات التربوية عن بعض الدول المجاورة لفرنسا . واقترح أن يضم الاستفتاء ست مجموعات من الاسئلة تغطى مجال التعليم الابتدائى والثانوى والعالى واعداد المعلمين وتعليم الفتاة وعلاقة التربية بالتشريعات والمؤسسات الاجتماعية وكان جوليان يأمل أن المقارنات المترتبة على هذا الاستفتاء قد تساعد الدول المتخلفة على تطوير نظمها التعليمية .

وكان فيكتور كوزن V. Cousin من أنصار الاستعارة الثقافية المنتقاة . فقد كانت حكومته الفرنسية بدراسة نظام التعليم فى بروسيا للاستفادة منه فى اصلاح نظامها التعليمى . وفى عام ١٨٣١ صدر تقريرة الذى وصف فيه التربية فى بروسيا وصفا مباشرا وعبر عن اعجابه بجوانب كثيرة منها الادارة المركزية ، وكفاءة المدارس وفعالية الاجهزة التعليمية فى تحقيق الاهداف القومية . وكان كوزن يؤمن بأن عظمة الشعوب تتحقق بتقليد النافس والمفيد لدى الشعوب الأخرى .
وله سجد منهجه فى خطوات ثلاث :

أ - دراسة كل ما يمكن تجميعه عن النظام التعليمى المراد دراسته .

ب - زيادة التعليم وملاحظته على الطبيعة للتحقق من المعلومات التى توصل اليها .

ج - اقتراح ما يراه مناسبا لنظام تعليمى آخر .

أما هوراس مان H. Mann المربي الأمريكى فقد قضى فى أوروبا ستة شهور

زار فيها إنجلترا واسكتلندا وإيرلندا وفرنسا وهولندا والمانيا . هذا وإن كان تقريره الذى نشر عام ١٨٤٢ قد تضمن عدة مقارنات بين هذه الدول من حيث تنظيم المدارس وطرق التدريس إلا أنه يعتبر المحاوله الأولى لتقدير القيم التعليمية لهذه النظم . وقد أثر مان تأثيرا كبيرا فى التربية الأمريكية حيث ساهم فى إصدار أول قانون للتعليم الإلزامى فى أمريكا بولاية ماساشوسيتس عام ١٨٢٢ وابتعاد المدارس عن مسئولية تدريس الدين ، وتطوير اعداد المعلمين وامتد أثره إلى باقى الولايات للتحدة الأمريكية وإلى شيلي والأرجنتين .

أما هنرى برنارد H. Bernard فقد زار أوروبا وأعجب بالافكار التربوية البروسية وتشرب بأفكار بستالوتز وعمل على نشرها فى الولايات المتحدة الأمريكية وكان من أثمار فكرة المدرسة العامة public school وتحسين اعداد معلمى المرحلة الأولى . وقد أشرف على تحرير المجلة الأمريكية للتربية التى كانت تنشر مقالات وأحاديث عن النظم التعليمية فى بلاد عدة .

أما المربى الانجليزى ماثيو أرنولد فقد كتب تقريرا بعنوان المدارس والجامعات فى أوروبا ، تناول فيه تطوير التعليم الثانوى والجامعى فى كل من فرنسا وإيطاليا وسويسرا وروسيا وفى كتابه « التربية الديمقراطية » قارن بين التربية فى فرنسا وإنجلترا وسجل ملاحظاته الدقيقة حول الفروق المتعلقة بشخصية الأمة وطابعها وانتقد تطبيقية التعليم فى إنجلترا ونادى بإصلاح التعليم الثانوى فى إنجلترا وفقا لما وجد فى فرنسا وروسيا . واقترح أن يوضع نظام التعليم العلم تحت ادارة الدولة من خلال نظام فعال للحكم المحلى .

والمربى الروسى أوشينسكى Ushinske كتب مقالات عن التربية فى الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية وكانت مقادنته واضحة ومعددة وكان

أو شنسكى يؤمن بالفروق القومية وعدم إمكانية نقل التقاليد القومية التى تؤثر فى التربية . ومع ذلك فقد اقترح إمكانية نقل الأنظمة العقلانية من دولة إلى أخرى . ومن خلال دراسته للنظم التعليمية ومشكلاتها توصل إلى أن الرأى العام للشعب هو أسلم طريق لإصلاح النظام التعليمى .

ومع ذلك فإن هناك صعوبات كثيرة تواجه نقل واستعارة النظم التعليمية من بيئة إلى أخرى . أولها اختلاف المصطلحات التربوية فالتعليم الثانوى فى مصر مثلاً يبدأ فى سن الخامسة عشرة بعد إتمام المرحلة الإعدادية بينما يبدأ فى إنجلترا وويلز فى سن الحادية عشر بعد إتمام المرحلة الابتدائية ، وثانيها اختلاف الایدولوجية والنظرية السياسية السائدة والمطبقة فى مجتمع ما عن فى المجتمع الآخر . وبذلك لا يمكن نقل القيم السائدة والمتصلة بالطاعة العمياء والالسياف التام من مجتمع يؤمن بالديكتاتورية إلى مجتمع آخر يؤمن بالديمقراطية ولكن قد يسمح بنقل طرق التدريس الحديثة من المجتمع الأول إلى المجتمع الثانى كأسلوب تدريس . وثالثها أن الطابع القومى قد يجعل نقل النظام التعليمى عملية معقدة . كما يقول باتشى إذ أن اختلاف النظم السياسية والاجتماعية واختلاف العادات والقيم والسلوك يتطلب تغييراً فى النظام التعليمى ليناسب مع ظروف الأمة . وبدون هذا التكيف فإن نجاح مؤسسة من المؤسسات فى مجتمع ما لا يمكن ضمانه بنفس النتيجة فى مجتمع آخر . ويؤكد سادلر صعوبة النقل والاستعارة بقوله : « إننا لا نستطيع أن نتجول إلى النظم التعليمية فى العالم ، كطفيل يلبو فى حديقة فيتحطف زهرة من هنا وورقة من هناك . ثم يتوقع أنه لو غرس ما جمعه فى تربة أعدها الحصل على نبات حى دون ما يكيف أو ملائمة سليمة فهو فى هذا وأهم من توقعه ، ذلك لأن التعليم كائن حى له ظروفه وتكوينه وطابعه المميز نتيجة للعوامل المتعددة التى تؤثر فيه ، ورابع

الصعوبات التي تعمق النقل والاستعارة هو صعوبة الاعتماد على الاحصاءات التي كثيراً ما تكون مضللة .

٣ - ٣ . مرحلة التعاون الدولي : International Co - operation

إذا كان حب الاستطلاع والرغبة في الاستفادة من النظم التعليمية هما الدافع وراء الدراسات التربوية المقارنة في المرحلتين السابقتين فإن الأمل في خدمة اللسانية كان الدافع الرئيسي في مرحلة التعاون الدولي .

وبالطبع كان جوليان سابقاً عصره كمبادئه في الدعوة إلى إنشاء مؤسسات دولية للمساعدة في تحقيق الأوتباط بين دول أوروبا . وبعد قرن من دعوته أي في بداية القرن العشرين حاولت جماعة أخرى من المربين الدوليين تأسيس مجلساً عالمياً للتعليم وكتب أدوارد بيترز E. Peeters يؤيد مشروع المكتب الدولي للتربية International Bureau of Education الذي يتولى مسؤولية ترجمة ونشر المعلومات التربوية بهدف تحقيق التجانس الدولي . ومع ذلك لم تكال جهودهم بالنجاح حتى نهاية الحرب العالمية الأولى عندما تأسس المكتب الدولي للتربية (L. B. E.) في جنيف ويمكننا أن نميز أربعة أنواع من الكتابات المقارنة التي تمت في هذه المرحلة .

النوع الأول تضمن دراسات المشكلات التربوية التي تمتاز بالعمومية . وقد تميز فكر علماء التربية المقارنة في القرن العشرين بحافظة إنسانية وعالمية . وأعتقد هؤلاء العلماء أن من يدرس التربية يجب عليه أن يساهم في حل أزمت العالم السياسية والاقتصادية . ويمثل هذا النوع كتابات بول مونرو Paul Monroe التي نشرت في جزئين عام ١٩٢٧ و ١٩٣٢ . وتضمنت كتابات مونرو سلسلة من الدراسات عن بعض الأنظار ، ومقالات ناقشت مشكلات خاصة من منظور تاريخي سياسي

واجتماعى ، وكان مؤثرو مهتما بالقومية والثورة الثقافية والتصنيع والتوفيق بين القيم السائدة فى الثقافة الشرقية والغربية وقد رأى فى إزالة الجهل أمل كبير فى السلام العالمى والاستقرار القومى . وقد ساهمت كتابات كل من كاندل وهانو ومالينسون - التى كان لها اهتمامات عالية - فى إبراز الدور الانسانى الذى يمكن أن تقوم به التربية فى تحقيق التقدم الاجتماعى وهكذا انتقلت وظيفة التربية المقارنة من النقل والاستعارة إلى تخطيط المناقشات واتخاذ القرارات الدولية .

وتميز النوع الثانى من هذه الكتابات بالأحصاءات التربوية والمعلومات الموضوعية عن جوانب معينة من النظم التعليمية فى العالم . وقدم المكتب الدولى للتربية كتابه الدولى السنوى للتربية International Yearbook of Education الذى يلخص بمنهجه مقننة المعلومات التى يحصل عليها من الاستفتاءات التى توجه إلى وزارات التربية والتعليم . وبالإضافة إلى ذلك يلمس المكتب سلسلة من التقارير المقارنة عن موضوعات تعليمية منتقاة . غير أن هذه الكتابات كان يشوبها بعض القصور لاعتمادها على التقارير الرسمية . فهناك صعوبة المقارنة لاختلافات التصنيف والمصطلحات . وهناك احتمال خطورة تقديم المعلومات من أجل الدعاية . وحتى إذا كانت المعلومات التربوية التى تقدمها الدول دقيقة وقابلة للمقارنة هناك بعض الموضوعات الحساسة التى لاتسمح بمجموعة الدول بمناقشتها بعمق وموضوعية مثل العلاقة بين الفرص التعليمية والطبقات الاجتماعية والجنس ، والأيديولوجية السياسية والعقيدة الدينية وهذا يجعل الاستفتاءات التى تجريها باشراف دولى تنفادى هذه النواحي الهامة تربوياً واجتماعياً أو يجعل نتائجها غير ذات دلالة . وبالإضافة إلى ذلك كان جمع المعلومات مدفوعاً بهدف أن النشاط المشترك سوف ينمى التجانس الدولى الذى من نتائجه تحقيق الفهم العالمى . لذلك جاءت المطبوعات مؤكدة

الوصف على حساب التفسير وتفايد الموضوعات التربوية الهامة وأدى ذلك إلى
تعزيزها على أرفف المكتبات دون مافائدة .

أما النوع الثالث من هذه الكتابات فقد جاءت على يد روزيلو (P. Rosello)
أستاذ التربية المقارنة بجامعة جنيف بسويسرا الذي يرى أن التربية المقارنة جزء
من مجهود المنظمات الدولية لإقامة معايير بين دول العالم وخاصة بين الشرق والغرب
وقد توصل روزيلو إلى نتيجة هامة من خلال خبراته الطويلة أن الخلافات السياسية
بين الدول وبين النظم التعليمية في العالم تتركز في تأثير القوى الاجتماعية والاقتصادية
واستخدم روزيلو المعلومات التي جمعها المكتب الدولي كالاتفاق على التعليم ، القيد
بالمدراس المختلفة وأعداد المدرسين والتشريعات التعليمية لتحديد الاتهامات
والنتائج في السياسات التعليمية .

أما النوع الرابع فقد بدأ مع ظهور منظمة الأمم المتحدة في نهاية الحرب
العالمية الثانية وإنشاء عدة منظمات دولية سواء أكانت منبثقة عن الأمم المتحدة
مثل المنظمة الدولية للثقافة والعلوم والتربية « اليونسكو Unesco » أو منبثقة عن
بعض تكتلات دولية مثل منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية « OECD » التي
تجمع دول غرب أوروبا وكندا والولايات المتحدة وأستراليا أو المنظمة العربية
للثقافة والعلوم والتربية « Alesco » .

وتهدف هذه المنظمات إلى تقديم المساعدة للدول النامية والمتخلفة في أمور
التعليم حيث أصبح تكوين فريق دولي من خبراء التعليم والمخططين والإداريين
والمدرسين وأرسلهم إلى هذه البلاد من الأمور المميزة لهذا النمط عن التعاون .
وهناك أيضا رابطة السلام Peace Carps وبرنامج التعاون البريطاني لدول
الكومنولث The Brithish Common-Wealth Cooprtion Programmes

حيث يترك للدولة حرية اختيار برنامج معين من برامج المساعدات في الحالتين فان هذه المساعدات تهدف إلى تحقيق التعاون الدولي وتفترض أن أفضل ضمان للسلام يكون بتقديم تعليم أفضل للفقراء . ونتيجة لهذا صار هناك سبيل من الكتابات والتقارير التربوية التي تصف التطور التربوي في دول العالم ، بالإضافة إلى برنامج المساعدات التربوية وانتشار الكوثرانات التي تساعد الدول النامية في التغلب على مشكلات العملة الصعبة لشراء بعض الحامات والكتب الثقافية الأجنبية . وفي الحقيقة نستطيع أن نمرد الكثير من أشكال التعاون الدولي في قائمة غير محددة ولكن نكتفي بهذا القدر .

٣ - ٤ . مرحلة القوى والعوامل Forces and Factors

وتمتد هذه المرحلة من أوائل القرن العشرين حتى منتصفه . وفيها أهتم علماء التربية المقارنة بالأسس التربوية والقوى والعوامل المختلفة التي تستند إليها التربية في الدول المختلفة . واهتموا بربط النظم التعليمية بما يدور في مجتمعاتها من مؤثرات ثقافية وإجتماعية واقتصادية وسياسية ومدى التفاعل بين هذه المؤثرات المختلفة وبين النظم التعليمية .

وكانت السمة المميزة للدراسات التربوية المقارنة في هذه المرحلة هي الاهتمام بشرح أوجه الشبه والخلاف بين النظم التعليمية المختلفة والقوى والعوامل التي تقف وراءها وانتقلت التربية المقارنة من مرحلة جمع المعلومات الوصفية إلى المرحلة التحليلية التفسيرية وعن طريق تتبع العوامل المختلفة يمكن الاستفادة من النظم التعليمية واستعاراتها طالما كانت الظروف المحيطة بها متشابهة .

ومن أشهر رجال التربية المقارنة في هذه المرحلة سادلر المرابي الانجليزي الذي خرج عن المنهج الذي كان سائدا في القرن التاسع عشر . وقد انتهج سادلر منهجا

جديدا يميز الدراسات التربوية المقارنة في النصف الأول من القرن العشرين ، ويعتمد هذا المنهج على ضرورة التعرف على العوامل المختلفة التي تؤثر في النظم التعليمية عند دراسة نظم التعليم بالدول الأجنبية . وهو يؤمن بأن النظم القومية التعليم لها طابعها المميز ولا يمكن نقلها من مكان إلى آخر ، ما هي دون للنظر للاعتبارات المختلفة . وأعتقد سادس أن عظمة النظم التعليمية تتمثل في روحها الحية وطابعها المميز . وتكون عظمة سادس في أنه أضاف البعد الاجتماعي إلى البعد التاريخي في دراسة النظم التعليمية .

وقد كتب سادس أدلة تقارير عن التربية في البلاد الأوروبية منها تقريراً عن التعليم في كندا وأستراليا وجزر الهند الغربية وسيلان ومالطة وشارك في الكتابة عن التعليم في الولايات المتحدة بمقالين أحدهما عن تعليم الزوج في أمريكا وفي الآخر قارن بين الأهداف التربوية والأيديولوجية في كل من ألمانيا وأمريكا .

وتناول شتايدر بشكل منظم الجوانب المختلفة للتربية المقارنة مستخدماً المنهج التاريخي في معالجة المشكلات التربوية في كثير من البلاد ، وقسم العوامل التي تؤثر في نظريات التربية وتطبيقاتها إلى شخصية الأمة والموقع الجغرافي والثقافة والعلوم والفلسفة والحياة الاقتصادية والسياسية والدين والتاريخ والمؤثرات الأجنبية .

ويعتبر كاندل من أشهر رجال التربية المقارنة فقد نشر العديد من الكتب والمقالات التي أثرت التربية المقارنة وأصبحت مصدراً من مصادرها الهامة . وكان يرى أن وظيفة التربية المقارنة ليست المفاضلة بين النظم التعليمية أو تحديد أحسنها ، وإنما في إخصاب أفكارنا . وكان كاندل يهتم بشرح العوامل التي تسبب حدوث ظاهرة تعليمية من منظور تاريخي . وأكد أن هناك قوى معينة سياسية واجتماعية

وثقافية تحدد طابع النظم التعليمية القومية . ويتميز منهج كاندل بثلاثة أسس رئيسية هي :

أ - أساس وصفي وهي نقطة أساسية لأن توفر المعلومات شرط ضروري لاصدار الأحكام وعقد المقارلات .

ب - أساس تاريخي وظيفي لأن الحقائق وحدها ليست كافية ولا بد لتفسير هذه الحقائق من العودة إلى الجذور التاريخية لالقاء الضوء عليها وتفسيرها .

ج - أساس نفعي يستهدف خدمة التربية في أى بقعة من بقاع الأرض .

وقد أكد كاندل من مجموعة على العوامل المؤثرة في النظم التعليمية والمسئولة عن أوجه الشبه والاختلاف بين نظامين تعليميين على الابدولوجية السياسية والتطور التاريخي .

وكان لمنهجه تأثير كبير على دراسى التربية المقارنة والباحثين فيها . وأن كان يوجه إلى كاندل بعض أوجه النقد منها أعماله لنتائج العلوم الاجتماعية ، ووفوره فى التعميمات دون الاستناد إلى أدلة كافية مثل قوله : النظم الديمقراطية للتربية أحسن من غيرها ، وأن : النظم المركوية أسوأ ، وأن : الرجل الفرنسى هو رجل الأفكار .

أما هانو فيرى ضرورة دراسة كان نظام قوى للتعليم على حدة فى إطاره التاريخي والقوى . ويعتبر أن النظم القومية تمثلاً التعبير الخارجى للنمط القوى وشخصية الأمة شأنها فى ذلك شأن الدساتير القومية والأداب والفنون . وشخصية الأمة فى نظره ما هى إلا نتيجة تفاعل الظروف التاريخية والجغرافية والدينية

والقومية والسلالية أن النظم التعليمية القومية تتأثر بهذه العوامل إلى درجة كبيرة .
ويعتقد هانز أن النظم التعليمية القومية قد تشكلت في الغالب نتيجة عوامل
مشتركة بين كثير من الأمم لذلك فإن كثيراً من مشكلات التربية في البلاد المختلفة
متماثلة ، كما أن المبادئ التي توجه لحلها يمكن مقارنتها وتوحيدها .

ومع أن منهج هانز هو منهج تحليلي شامل ، إلا أن هولز يعتبر هانز من
أنصار المدرسة الوصفية التي أسسها كاندل وشنايدر . غير أن هانز في نظر هولز
لم يكن مجرد شارح وصفي وإنما كان يبحث عن العوامل والأسباب المسئولة عن
ظهور الظاهرة التعليمية وكان اهتمامه بتأثير قوة الأفكار أكثر من اهتمامه
بالاحصاءات .

ويعتبر مالفيسون من إتباع مدرسة كاندل وشنايدر وهانز . فهو يولي
اهتماماً كبيراً بالانفعالات التاريخية وأن كان يتتبع التطورات الحديثة للنظم التعليمية
التي يدرسها . ويتمركز منهج مالفيسون حول فكرة النمط القومي National
Character وتأثيرها على تشكيل الطابع القومي للتعليم . ويرى مالفيسون أن
شخصية الأمة أو نمطها القومي هو الذي يشكل آمالها وأهدافها ومؤسساتها
الاجتماعية والسياسية والثقافية .

وحدد مالفيسون أربعة مكونات للطابع القومي هي الاكتشافات العلمية
والمعتقدات والصراع من أجل البقاء والتربية .

ويعتقد لورايير أن منهج مالفيسون له قيمة في الكشف عن الحقائق والتفسير
على الرغم من نقاط ضعفه . ويرى أن الأسلوب الأكثر ملاءمة هو أسلوب التقاليد
الثقافية . ويرى أن هناك أنماطاً قومية في الفلسفة أو أساليباً مختلفة للجدل الفلسفي
مثل الفلسفة البراهمية الأمريكية Pragmatic والمثالية الألمانية Idealism

والمقلاية الفرنسية Realism والتجريبية الانجليزية Experimentalism
والمادية الجدلية السوفيتية Dialectical Materialiam تؤثر في النظم التعليمية
والمناهج الدراسية وطرق التدريس المستخدمة .

ويرى لوداين ضرورة الافتصار على عنصر رئيسى فقط عند دراسة النظم
التعليمية إلا وهو الابدولوجية بدلا من عدة عناصر مكونة للنمط القومى . وهذا
المنهج يودى إلى المقارنة الواضحة ويؤدى أيضا إلى القدرة على التنبؤ .

وبصفة عامة يتضح من كتابات علماء التربية المقارنة فى هذه المرحلة أن
اهتمامهم كان موجها إلى دراسة القوى والعوامل المؤثرة فى النظم التعليمية لشرح
أوجه الشبه والاختلاف بينها وأن هذه العوامل تركزت فى ثلاثة أبعاد هى البعد
التاريخى والبعد الاجتماعى والبعد الفلسفى .

٣ - ٥ . مرحلة المنهجية العلمية :

وتبدأ من المنتصف الثانى القرن العشرين حتى وقتنا الحاضر . وتسم هذه
المرحلة بزيادة التقدم العلمى فى مختلف مجالات الحياة والتقدم التكنولوجى ،
والمفهوم السليم العلوم الانسانية والاجتماعية واستخدام الاسلوب العلمى فى تفسير
النظم والمشكلات التعليمية . فقد اوضح أن الظواهر الاجتماعية ومنها التعليمية
ليست ظواهر عشوائية غير متصل بعضها ببعض الآخر ، بل تتضمنها انماط
يمكن تمييزها وتفسيرها . ومن ثم رأى علماء التربية المقارنة ضرورة الانتقال
بالمادة من مجرد دراسة من الدراسات الانسانية إلى دراسة نهجية تخضع
لأساسيات المنهج العلمى .

وقدم موهلمان Moehelman اطارا نظريا لدراسة التربية المقارنة دراسة
علمية ويرى موهلمان أن فهم النظم التعليمية يتطلب تعاون علماء كثيرين فى

مجالات متعددة مترابطة بعضها ببعض . ويمكن أن أى نظام تعليمى عبارة عن نسج مركب يمتد بمجوده إلى الثقافة المتأصلة . ومن ثم كان على دارس التربية المقارنة أن يستخدم الطريقة الثقافية Cultural Method لدراسة المجتمع الذى نشأ فيه النظام التعليمى ، وطريقة الموضوعات Topical Method لدراسة المشكلات التى تتعلق بالنظام التعليمى .

ورأى مؤلفان أن الذى يساعد على دراسة التربية المقارنة دراسة علمية هو قانون الشكل والتأنيب Law of Form or Morphology ويستند إلى العناصر الآتية :

- أ - الثقافة المادية ومظاهرها التكنولوجية والاقتصادية .
- ب - المؤسسات الاجتماعية وتشمل المنظمات الاجتماعية التربوية والتركيب السياسى .
- ج - الفرد والكون ويشمل المعتقدات والمقدسات .
- د - الفنون الجمالية وتشمل الفنون الشعبية والزخرفية والموسيقى والرقص .
- هـ - اللغة .

وفى الحقيقة أن اطار مؤلفان النظرى ما هو إلا مجرد تصنيف أو توصيف لمجموعة من العوامل التى تبدو أحياناً غير مرتبطة ومن الصعب تطبيق هذا الاطار فى الواقع وليس من المفيد تصنيف المشكلات التربوية فى قائمة تضم مجموعة من العوامل المرتبطة بعيدة المدى .

ومن رواد المنهج العلمى فى هذه الفترة جورج بيريداي ويرى أن دراس التربية المقارنة يجب أن يتوافر لديهم ثلاثة أمور :

(١) معرفة لغة المنطقة التي يدروسونها. ويمكن الاستعانة من ذلك بمرجم أو كتب مترجمة ولكنها لا تقارن في أهميتها بمعرفة اللغة نفسها .

(٢) الإقامة في المنطقة موضوع الدراسة وربما يمكن الاستعانة عن ذلك بما يتوافر من مواد مكتوبة لكنها لا تداني الأولى في فاعليتها .

(٣) الملاحظة المستمرة للنظام حتى يمكن التحكم في التحيز الثقافي ، أى أن الباحث لابد أن يقوم بالحياد والموضوعية في ملاحظته .

وحدد بيردى أربع خطوات لمنهجه في التربية المقارنة هي :

١ — الوصف : بمعنى عرض المعلومات وما يتطلبه ذلك من زيارات أو تسجيل ثم فرض فروض معينة أو تعميمات أولية تحتاج إلى اختبار .

٢ — التفسير : بمعنى تحليل المعلومات التربوية في ضوء ظروف كل بلد ومن خلال الجوانب المختلفة للمجتمع .

٣ — النظرة : بمعنى وضع أساس المقارنة بين النظم التعليمية ، وتربيتها وجدولتها في ضوء الأفكار الرئيسية ومحاولة إيجاد أوجه تشابه واختلاف .

٤ — المقارنة : بمعنى اتمام المقارنة بين المشكلات التربوية في البلاد موضوع الدراسة سواء بطريقة طولية أو عرضية تؤدي إلى نتائج عامة تلائم مع الفروض المسبقة .

ويرى البعض أن بيردى أى يمثل فئطرة تربط بين قريتين من فترات التربية المقارنة ، مثله في ذلك مثل سادلو . إذ يتم باستخدام العلوم الاجتماعية والالسانية

لإستخدامها وظيفيا ويربط بين مرحلة مناهج القوى والعوامل وبين مرحلة تهتم
بالبحث عن اتجاه علمى يجرى للدراسات التربوية المقارنة .

وقدم برايان هولمز منهج المشكلات فى التربية المقارنة لدراسة التربية المقارنة
دراسية علمية ، ويرى أن هناك ضعفا فى منهج الاستعارة الثقافية من النظم الأخرى
ويؤمن بأن المنهج التاريخى وأن كانت له قيمة فى تفسير الظواهر التربوية إلا أن
قيمتها محدودة فى النبؤ . ويتمسك أن العلم والفلسفة يرتبطان ارتباطا وثيقا حيث
أنهما يستهدفان التوصل إلى القوانين التى تفسر الظاهرة واكتشاف القوانين المتحركة
فى البيئة الاجتماعية .

وقد استخدم هولمز التحليل النقدي Reflective thinking بلون
ديوى Dewey والثانية الحرجة Critioal dualism لبوبر Popper ونظريات-
التغير الاجتماعى كأساس نظرى لمنهجه . ويحدد هولمز أن المشكلة تنشأ نتيجة
حدوث تغير جانب أو عدة جوانب فى المجتمع مع عدم تغير فى جانب آخر أو
أن التغير المصاحب لم يكن بنفس السرعة . بمعنى آخر أن المشكلة التربوية تنشأ
نتيجة للتغير اللامتناهين فى جوانب المجتمع المختلفة . وقد تنشأ بعض المشكلات
للعجوة الحادثة بين النظرية والتطبيق . ويقول هولمز أنه فى مواجهة موقف ما قد
يتبادر إلى الذهن على الفور بعض الحلول الممكنة . ولكن زيادة التفكير فى
المشكلة تقتضى قلب أوجهها لتصبح المشكلة أكثر وضوحا وبالتالي فإن ذلك
يحدد الاتجاه الذى على أساسه يتم تجميع المادة العلمية المتصلة بالمشكلة ومن ثنبايا
هذه المادة تبرر الحلول الجديدة التى يمكن اعتبارها فروضا توضع موضع الاختبار
واحدا بعد الأخرى .

وبقدم هولمز أطارا مفيدا لتصنيف المعلومات لتحديد العوامل المرتبطة بالمشكلة

وحذف ما لا يتصل بها . وهذا التصنيف يقوم على أساس ثلاث اطرارات هي :

١ - الاطار المعيارى : Normative pattern

ويتضمن المبادئ والقوانين المعيارية القائمة على نظريات المعرفة وفلسفة الأفراد والمجموعات . ويتكون من جمل تمثل الفلسفة أو البيئة مثل الاهداف والامال والتوقعات التى لها صفة العمومية والتى يمكن ان يشترك فيها الجنس البشرى وجميع المجتمعات ، ويمكن أن يقبلها الفرد أو يرفضها . وهناك طريقتان لتحديد الاطار المعيارى أحدهما التكوينى التجريبي Emperical Construct والآخر التكوين العقلانى Rational construct ويقترح هولمر ، ثلاث موضوعات نأشها الفلاسفة الغربيون لاشتقاق التكوين العقلانى هي طبيعة الفرد وطبيعة المعرفة وطبيعة المجتمع .

ب - الاطار التناسيى : Inatitutional pattern

ويتضمن المؤسسات المرتبطة بالمشكلة والقوانين الإجتماعية التى تعمل من خلال هذه المؤسسات ويتطلب ذلك الاطار التحليل الوصفى للنظام التعليمى فى اطاره الثقافى الإجتماعى . وهذا التحليل ينفى أن يكشف عن المؤسسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى يوتبط بها النظام . ويجب أن يؤخذ فى الاعتبار المستويات المختلفة للتنظيم الرسمى ودورها فى رسم وتبنى وتنفيذ السياسات التعليمية .

ج - الاطار الطبىعى : Envinonmental pattern

ويشمل المعايير الطبيعية والسكانية المجتمع . ويتطلب تحليل المصادر الطبيعية وما يحظى به البلد موضع الدراسة من ثروات طبيعية ومدى قدرته على تخصيص اموال للانفاق التعليمى بما يتطلب تحليل الجاناب الديموجرافى للسكان وعلاقته بالتعليم وما يتطلبه من توسع فى الفرص التعليمية .

وهذه الاطارات الثلاث تستخدم في منهج المشكلات لتحديد المعلومات التي يجب أن تؤخذ في الاعتبار عند تحليل المشكلة وترشيدها وبذلك يتم اختصار العناصر إلى أقل حد ممكن في وصف النظام التعليمي وفي إجراء المقارنات في مختلف الثقافات المتداخلة .

ويعتمد منهج هولمز على أربعة خطوات هي :

(١) اختيار وتحديد المشكلة وتحليلها :

ويتوقف اختيار المشكلة على الباحث نفسه . ويمكن تصنيف المشكلات بعدة طرق . وأكثر الطرق انتشارا هو تصنيف المشكلات على أساس الطابع الغالب عليها . فبعض المشكلات يغلب عليها الطابع الاقتصادي والآخر يغلب عليها الطابع السياسي أو الاجتماعي . وغالبا ما تتبع هذه المشكلات من الانفجار المعرفي أو الانفجار السكاني أو انفجار الطموح وتحليل المشكلة يجب أن نتعرف على التغير اللازم في مجالات الاطارات الثلاث المعيارى والتأسيى واليئى .

(٢) صياغة المقترحات ورسم السياسة التعليمية :

يلاحظ أن كثيرا من المشكلات التربوية لم يقترح لها سوى قلة من الحلول وذلك لأن محاولة وضع اقتراح ليحل مشكلة من المشكلات عموما يصعب لأن ما يصلح كحل لمشكلة في مجتمع ما قد لا يناسب مجتمعا آخر . فأى اقتراحات تبني على أساسها السياسة التعليمية في دولة شرقية على أساس مقترحات نجح استخدامها في الغرب عملية محفوفة بالمخاطر . ويقول هولمز أن السياسة التعليمية يجب أن تكون موجهة نحو هدف معين يعكس الآمال المنشودة وهذا يتطلب تقديم اقتراحات بديلة .

(٣) تحديد العوامل . . .

على الرغم من صعوبة تحديد مثل هذه العوامل إلا أن أهميتها تكن في توضيح المشكلة موضع الدراسة بمواطنها المختلفة ومن الضروري أن توجه إلى تصنيف المتغيرات بين عوامل ايدولوجية كالمعايير والقيم والعادات والاتجاهات والتقاليد ، وبين عوامل تأسيسية مثل المنظمات والمؤسسات المختلفة . وبين عوامل طبيعية لا يتحكم الانسان فيها كالثروات الطبيعية والتركيب السكاني .

(٤) التنبؤ :

ويعنى به التنبؤ بمدى نجاح الحلول المقترحة إذا ما وضعت موضع التطبيق . وعلى الرغم من صعوبة التنبؤ إلا أننا لا يمكن تجاهله . ويعتقد هولمز أن التنبؤ هو مفتاح التفكير الحديث في التربية المقارنة ، وهو الهدف الاسمى للعلم .

ولاشك أن منهج هولمز يمثل صعوبة في فهمه واستخدامه ويعترف هو بذلك ويرى أن طلبة البحوث والدراسات العليا هم الذين يستطيعون استخدامه .

٤ — مجال التربية المقارنة :

تعتبر التربية المقارنة علم متداخل التخصصات Interdisciplinerian أو علم معتمد على أكثر من تخصص واحد Multidisciplinarian لأن لقاء الضوء على المشكلات التربوية والنظم التعليمية يتطلب دراستها في ضوء علاقاتها بمجوانب الحياة الأخرى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . ومن هنا يعتمد دارس التربية المقارنة اعتمادا كبيرا على المواد الأخرى ويستعين بها في دراسته . وقدما كان الباحث في التربية المقارنة يعتمد على التاريخ لتفسير بقية القوى الثقافية المؤثرة في نظم التعليم . وعلى الرغم من أن المنهج التاريخي لم ينهار إلا أن هيجسون Higson

يتوقع أن تدرس التربية المقارنة في المستقبل سيمتبطون بالعلوم الاجتماعية أكثر من ارتباطهم بالتاريخ .

وتعتبر موضوعات التربية كلها من مجالات البحث في التربية المقارنة سواء ما يتصل بها بفلسفة التربية والمناهج وطرق التدريس والادارة التعليمية وأعداد المعلمين ونظم الامتحانات والتقويم والإشراف الفني طالما درست هذه الظواهر التعليمية في بلد أو أقاليم من بلدان وأقاليم العالم . ويمكن تقسيم ميدان التربية المقارنة إلى أربعة مبادئ على النحو التالي :

١ - ٤ . دراسة الحالة : Case study

ويقصد بها دراسة شاملة لنظام تعليمي واحد في بلد واحد أو ولاية واحدة أو حتى مدينة واحدة بحيث يتوافر لهذه الدراسة الأساس التحليلي الذي يشرح ويفسر النظام التعليمي في إطاره الثقافي الاجتماعي ، مثل نظام التعليم في نيويورك . أو التعليم في جمهورية مصر العربية . أو نظام التعليم في قطاع غزة .

٢ - ٤ . الدراسة الجغالية : Area study

وهذه الدراسة تكون شاملة لمجال معين من النظم التعليمية في منطقة يرتبط بينها عناصر مشتركة . كالنظام في البلاد العربية ، أو التعليم في أوروبا الغربية ، أو التعليم في أمريكا اللاتينية . ويشترط أن تكون هذه الدول متماثلة في اتجاهاتها العامة أو في نموها وتقدمها .

٣ - ٤ . دراسة المشكلات : Problems study

ويقصد بها دراسة مشكلة معينة في أكثر من بلد واحد . كدراسة التعليم الابتدائي أو الثانوي في بلدين . أو دراسة نظم التقويم أو المناهج الدراسية لمرحلة

هينة أو تعليم اللغات الأجنبية أو تعليم الفناء أو التسرب أو الفاقد وغير ذلك من المشكلات العديدة التي يمكن أن تكون موضوعا لدراسة مقطعية من عدة بلاد مختار في ضوء اعتبارات معينة في ذهن الباحث .

٤ - ٤ . الدراسة العالمية : Global study

ويقصد بها الدراسة العالمية التي تقوم بها الهيئات والمنظمات الدولية . وهذه الدراسة ليست في مقدور باحث واحد وإنما تتطلب تضاعف جهود عدد كبير من الباحثين على اختلاف مستوياتهم في شتى البلاد . وقد خطط لهذه الدراسة مجموعة محددة من الباحثين ولكن تنفيذ هذه الدراسات وجمع المعلومات التي تتطلبها وتحليل البيانات التي تشملها وتفسير النتائج لا بد أن يقوم بها فريق متكامل من الباحثين .

ومن أمثلة هذه الدراسة ما قامت به اليونسكو عام ١٩٧٠ وهي دراسة عالمية عن خفض الفاقد من التعليم ، وما قام به المكتب الدولي للتربية سنة ١٩٦٧ عن دراسة النقص في معلى التعليم الثانوى .

• - مصادر الباحث في التربية المقارنة :

نعتبر هذه المصادر كثيرة ومتنوعة وعلى الباحث أن يميز بين ماهو مصدرا أولية أو ثانوية أو مهيئة . والمصادر الأولية في التربية المقارنة هي الكتابات التي لم تتناول موضوع الباحث بالمعالجات العلمية الشاملة والمنظمة . ومن أمثلتها التقارير الرسمية التي تصدرها الوزارات والمجالس الحكومية وخطط التعليم وإحصائياته وقوانينه ونظمه وتقارير اللجان التعليمية المختلفة ومفشورات المكتب الدولي للتربية . ومفشورات منظمة اليونسكو والهيئات الإقليمية التابعة لمثل مركز مرس البيان ومفشورات مكتب الولايات المتحدة للتعليم .

والمصادر الثانوية تشمل الكتب والمطبوعات والمختصات التي عالجت موضوع البحث . وهنا يجب الا يترك الباحث الى هافية التعصب لنظام تعليمي معين . ويفنى أن يوازن الباحث بين ما يكتبه دارسو النظام التعليمي من الخارج ، وما يكتبه أهله عنه حتى يمتق نوعا من التوازن في الأحكام . ومنها الدراسات التي ينشرها المعهد الدولي لأكاديمية المعلمين بجامعة كولومبيا والدراسات والأبحاث والتقارير التي يصدرها معهد التربية بجامعة لندن ، والفكرة التي يصدرها معهد التربية الدولي بفيو يورك .

والمصادر المعينة تتمثل في الكتب والمقالات والمطبوعات التي لا تتعلق بالتربية مباشرة ولكنها تتصل بها في جانب أو أكثر من جوانبها . ومن أمثلة ذلك الكتب التي تتناول الجوانب الثقافية والاجتماعية والسياسية . وهذه المصادر لها أهميتها في التربية المقارنة لأنها تلقى الضوء على الأبعاد المختلفة للمشكلة التربوية موضع الدراسة .